



The Rhetorical Significance of *Iṭnāb* and Its Influence on al-Ālūsī's Qur'anic Exegesis

Ammarah Maryam¹Dr. Sadia Gull²

Abstract: This study examines the rhetorical phenomenon of *iṭnāb* (elaboration) in the Holy Qur'an and its interpretive significance in *Rūḥ al-Ma'ānī fī Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm wa al-Sab' al-Mathānī* by Imām Shihāb al-Dīn Maḥmūd ibn 'Abd Allāh al-Ḥusaynī al-Ālūsī (d. 1270 AH). It focuses on selected Qur'anic examples to investigate the forms of *iṭnāb*, its rhetorical purposes, and the manner in which al-Ālūsī identifies and interprets its semantic and stylistic dimensions. The study proceeds from the premise that Qur'anic *iṭnāb* is not redundant verbal expansion; rather, it constitutes an intentional increase in wording that produces a particular rhetorical or semantic benefit, including emphasis, affirmation, clarification, specification, glorification, precaution, reinforcement through *tadhyīl*, and other functions recognized in Arabic rhetoric. The study further demonstrates that al-Ālūsī does not discuss *iṭnāb* as an isolated rhetorical phenomenon detached from the broader process of Qur'anic interpretation. Instead, he employs an integrated exegetical methodology in which rhetorical analysis interacts with grammar, syntax, morphology, variant readings, textual context, transmitted reports, intertextual relationships, and the subtle dimensions of meaning. His treatment of *iṭnāb* therefore provides insight into how rhetorical structures contribute to the interpretation and appreciation of Qur'anic discourse. The study concludes that offers insight into how rhetorical structures shape *Rūḥ al-Ma'ānī* represents a significant model of integrating the sciences of Arabic rhetoric with Qur'anic exegesis. Al-Ālūsī's analysis of *iṭnāb* demonstrates that apparent elaboration in Qur'anic expression is purposeful and contributes to precision, emphasis, coherence, and depth of meaning. The study of this rhetorical device consequently reveals an important dimension of the Qur'an's linguistic inimitability (*i'jāz*) and distinctive eloquence.

Keywords: *Iṭnāb*; Qur'anic Rhetoric; *Rūḥ al-Ma'ānī*; al-Ālūsī; Qur'anic Exegesis; Arabic Rhetoric.

¹ M.Phil. Scholar, International Islamic University, Islamabad. .

² Assistant Professor, International Islamic University, Islamabad

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى الذي أنزله هداية للناس، وجعله معجزة باقية إلى قيام الساعة، وقد امتاز في نظمه وأسلوبه وبلاغته بخصائص جعلته فوق طاقة البشر. ومن أبرز وجوه إعجازه ما اشتمل عليه من دقة التعبير، وإحكام النظم، وتناسب الألفاظ والمعاني، بحيث لا تكاد تجد لفظة في موضع من مواضعه إلا ولها وظيفة في بناء المعنى وإتمامه.

وقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾³، ومن ثم فإن فهم دقائق معانيه لا ينفك عن فهم خصائص اللغة العربية وعلومها، وفي مقدمتها علوم البلاغة؛ إذ تكشف البلاغة عن العلاقات الدقيقة بين اللفظ والمعنى، وتبين لماذا اختير تركيب دون آخر، ولماذا زيد لفظ في موضع دون غيره، ولماذا حذف في موضع آخر.

ومن الظواهر البلاغية المهمة في هذا السياق ظاهرة "الإطناب". وقد يبدو الإطناب لأول وهلة مخالفاً لمقتضى الاختصار، إلا أن البلاغيين قرروا أن الزيادة اللفظية إذا اقترنت بفائدة معتبرة لم تكن عيباً ولا تطويلاً، وإنما كانت من محاسن الكلام.

ومن هنا تتضح أهمية دراسة الإطناب في القرآن الكريم؛ إذ إن الزيادة القرآنية ليست زيادة يمكن الاستغناء عنها من غير أثر، بل كثيراً ما تكون هي الوسيلة التي يتحقق بها التوكيد، أو التفخيم، أو التنبيه، أو دفع توهم، أو تقرير معنى، أو استحضار صورة، أو الانتقال من الإجمال إلى التفصيل.

وبأني تفسير الإمام شهاب الدين محمود الألوسي في مقدمة التفسير التي اعتنت بالجانب البلاغي عناية واسعة. فقد جمع فيه بين التفسير بالمأثور، والتحليل اللغوي والنحوي، والقراءات، والفقه، وعلم الكلام، والمناسبات، والبلاغة، مع مناقشة أقوال المفسرين وترجيح ما يراه أقرب إلى الصواب.

وتتبع أهمية هذا البحث من أن دراسة الإطناب في روح المعاني لا تقتصر على بيان هذا النوع فقط، وإنما تكشف عن طريقة المفسر في الانتقال من الظاهر اللفظي إلى الدلالة المعنوية، وعن مدى ارتباط البلاغة بالتفسير عند أحد كبار مفسري القرن الثالث عشر الهجري.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

³ القرآن: ١٢: ٢

1. ما مفهوم الإطناب لغة واصطلاحاً، وما أبرز أقسامه التي قررها علماء البلاغة؟
2. ما الأغراض البلاغية التي يؤديها الإطناب في القرآن الكريم؟
3. كيف تناول الإمام الألوسي ظاهرة الإطناب في تفسيره، وما أثر الكشف عن الإطناب في فهم المعنى القرآني؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1. تأصيل مفهوم الإطناب وبيان حدوده البلاغية.
2. بيان أهم أقسام الإطناب وأغراضه، والكشف عن بعض صور الإطناب في السور محل الدراسة.
3. تحليل طريقة الألوسي في تفسير تلك المواضع، وبيان أن الزيادة في التعبير القرآني تحمل دلالات مقصودة وليست تكراراً لغوياً مجرداً.

منهج البحث:

اعتمد البحث على منهجين متكاملين:

- أولاً: المنهج الوصفي: وذلك في تعريف الإطناب وبيان أقسامه وأغراضه، وعرض آراء البلاغيين فيه.
- ثانياً: المنهج التحليلي: وذلك بدراسة نماذج من الآيات التي يظهر فيها الإطناب، وتحليل بنيتها اللغوية والبلاغية، ثم بيان طريقة الإمام الألوسي في توجيهها والكشف عن دلالاتها.

الدراسات السابقة:

أفادت الدراسة من عدد من البحوث التي تناولت الإطناب في بعض السور، ومن الدراسات التي تناولت منهج الإمام الألوسي أو تفسيره، ومن أهمها: دراسة راشد بن حمد الكعبي حول بلاغة الإطناب في السور المفصل، ودراسة عبد السلام فريد مصطفى السلطان حول الإيجاز والإطناب في سورة يوسف، ودراسة مصطفى محمد ربيع العلو حول الإيجاز والإطناب في قصص القرآن، إضافة إلى الدراسات المتعلقة بترجيحات الألوسي وعلوم القرآن في "روح المعاني" واتجاهه الصوفي.

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالشيخ الألوسي وتفسيره

المبحث الثاني: تعريف الإطناب وأقسامه

المبحث الثالث: النماذج التطبيقية للإطناب في تفسير الألوسي

المبحث الأول

التعريف بالمفسر: الشيخ شهاب الدين السيد محمود الألوسي.

هو شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي البغدادي، أبو الثناء، المولود ببغداد سنة 1217هـ والمتوفى سنة 1270هـ. وهو من أعلام العراق في القرن الثالث عشر الهجري، وقد اشتهر بالتفسير والحديث والفقه واللغة والأدب والبلاغة، حتى صار من أبرز علماء بغداد في عصره.

نشأ الألوسي في بيت علم، وكان والده من العلماء، فتهيأت له منذ صغره أسباب الاشتغال بالعلم. واشتغل بالقرآن والحديث والفقه والنحو والبلاغة وغيرها من العلوم، واتسعت دائرة معارفه حتى أصبح قادرًا على التعامل مع النص القرآني من جوانب متعددة⁴.

التعريف بتفسير "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"

1. يُعدُّ تفسير «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» من التفاسير الموسوعية البارزة في الدراسات القرآنية.

2. قد شرع الألوسي في تأليفه في (16 شعبان سنة 1252هـ)، وأتمه في (4 ربيع الآخر سنة 1267هـ)، وبذلك استغرق تأليفه نحو خمس عشرة سنة.

3. قد ذكر الألوسي في مقدمة تفسيره ما يدل على أن الاشتغال بتدبر القرآن والكشف عن دقائق معانيه كان من اهتماماته منذ وقت مبكر، ثم عزم على جمع ما توصل إليه من دقائق التفسير في مصنف مستقل.

4. فقد تعددت طبعات روح المعاني، ولذلك اختلف عدد مجلداته باختلاف الطبوعات. فمن أشهرها طبعة "دار الكتب العلمية" بتحقيق علي عبد الباري عطية، وقد جاءت في 16 جزءًا، منها 15 جزءًا للتفسير ومجلد للفهارس.

5. سمى الألوسي تفسيره بروح المعاني، وهي تسمية تتناسب مع طبيعة الكتاب ومنهجه؛ إذ يظهر من محتواه اهتمام المؤلف بالكشف عن دقائق المعاني واللطائف والأسرار التي يتضمنها التعبير القرآني، وعدم الاقتصار على المعنى الظاهر للآيات. كما أن عنايته بالوجوه البلاغية واللغوية للنظم القرآني تجعل اسم «روح المعاني» مناسبًا لما قصده من بيان المعاني الدقيقة واللطائف الكامنة في النص القرآني⁵.

منهج الألوسي في تفسيره:

يمكن إبراز أهم ملامح منهجه في النقاط الآتية:

الجمع بين المأثور والرأي: يستفيد من الآيات والأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين والمفسرين، مع إعمال النظر والتحليل وال ترجيح.

⁴ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، تحقيق محمد بحجة البيطار، ط2، دار صادر، بيروت، 1413هـ/1993م، ص150.

⁵ انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ/1994م، 1/5.

عرض الأقوال ومناقشتها: يورد أقوال العلماء في المسألة، ثم يناقشها ويبين ما يراه أقرب إلى الصواب. العناية باللغة العربية: يهتم بالمعاني اللغوية، والإعراب، والصرف، والاشتقاق، وأوجه استعمال الألفاظ العربية. العناية بالقراءات: يذكر القراءات القرآنية المختلفة ويوظفها في توضيح المعنى وتوجيه الألفاظ والتراكيب. العناية بالبلاغة: يكشف عن أسرار النظم القرآني، ويبين المناسبات بين الألفاظ والمعاني، ويحلل الأساليب البلاغية الواردة في الآيات.

الاهتمام بالسياق: يراعي سياق الآية وما قبلها وما بعدها في توجيه المعنى وبيان المناسبة. النقد والترجيح: لا يكتفي الألوسي بمجرد نقل الأقوال، بل يعرضها للنظر والمناقشة، ويشير إلى ما يراه راجحاً منها⁶.

وبذلك يمكن القول: إن روح المعاني ليس مجرد تفسير يجمع أقوال من سبقه من المفسرين، بل هو تفسير تحليلي موسوعي امتاز بعنانيته بالمعنى واللغة والبلاغة، مما جعله مصدرًا ذا قيمة خاصة في دراسة الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، ومن أبرزها "أسلوب الإطناب".

المبحث الثاني

- تعريف الإطناب وأقسامه:

تعريف الإطناب:

الإطناب لغة:

ترجع مادة «طنب» في اللغة إلى معاني الامتداد والثبات والشدة والمبالغة. ومنه طُنِبَ الخيمة، وهو الحبل الذي تشد به، ثم استعملت المادة في معنى المبالغة في الكلام⁷.

ويقال: «أطنب في الكلام» إذا بالغ فيه وأكثر منه⁸. وهذا المعنى اللغوي مناسب للمعنى الاصطلاحي؛ لأن الإطناب يقوم على زيادة في التعبير تتجاوز القدر الأصلي للمعنى، ولكنها ليست زيادة عبثية، وإنما زيادة لتحقيق مقصد. الإطناب اصطلاحًا:

من أشهر التعريفات قول ابن الأثير:

"الإطناب هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"⁹.

⁶ انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، 8/189.

⁷ القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1426هـ/2005م، ص 110.

⁸ المعجم المفصل في علوم البلاغة (البدیع والبيان والمعاني)، للدكتور إنعام فؤاد عكاوي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1417هـ/1996م، ص 159.

⁹ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، تحقيق: أحمد الحوي - بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، 2/280.

وهذا التعريف من أدق التعريفات؛ لأنه يخرج الإطناب عن مجرد كثرة الألفاظ. فليس كل كلام طويل مطنّباً، وليس كل زيادة في اللفظ من البلاغة. وعليه يمكن التمييز بين الأمور التالية:

الإيجاز الذي هو أداء المعنى بأقل من العبارة المعتادة مع تمام الدلالة، والمساواة الذي هو أداء المعنى بالقدر المعتاد من اللفظ، والإطناب الذي هو زيادة اللفظ على القدر المعتاد لتحقيق فائدة، والتطويل الذي هو الزيادة في اللفظ لا تقابلها فائدة معتبرة¹⁰.

ومن هنا يتضح أن جوهر الإطناب ليس كثرة الكلام، وإنما الفائدة الناشئة عن الزيادة.

أبرز أقسام الإطناب وأغراضه:

تناول البلاغيون الإطناب بصور متعددة، واختلفوا في التفصيل والتقسيم، ومن أشهر ما تداوله علماء المعاني هو تقسيم الإطناب عند القزويني:

1. الإيضاح بعد الإبهام:

وهو أن يذكر المتكلم المعنى بصورة مجملة ثم يوضحه بعد ذلك.

ومن أبرز أمثله قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾¹¹

فلفظ "ذلك الأمر" جاء مجملاً، ثم جاء البيان بعده بتحديد ذلك الأمر، وهو قطع دابر القوم. والفائدة هنا ليست مجرد إعادة المعنى، وإنما تشويق السامع إلى معرفة الأمر، ثم تمكين صورته في ذهنه¹².

2. ذكر الخاص بعد العام والعكس:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾¹³

فالصلاة الوسطى داخلة أصلاً في الصلوات، ولكن إفرادها بالذكر بعد العموم يفيد التنبيه إلى مزيد فضلها والعناية بها. وهنا يتبين أن الزيادة لم تضاف حكماً جديداً بالضرورة، وإنما أضافت "درجة من العناية والتأكيد"¹⁴.

¹⁰ انظر: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، لدكتور محمد أحمد قاسم، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان،

2003م، ص357

¹¹ القرآن ١٥: ٦٦-

¹² أساليب بلاغية (الفصاحة، البلاغة، المعاني)، لأحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، ط1، وكالة المطبوعات -

الكويت، 1980م، ص231

¹³ القرآن ٢: ٢٣٨-

¹⁴ علم المعاني، لعبد العزيز عتيق، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1430هـ/2009م، ص

أيضا قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾¹⁵. حيث تم ذكر "لي ولوالدي" أولاً، ثم جاء ذكر المؤمنين والمؤمنات، مما يعزز الشمول مع العناية بالخاص¹⁶.

3. التكرير:

التكرير هو إعادة اللفظ أو المعنى لغرض بلاغي.

قال تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾¹⁷ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ¹⁷

فإعادة الجملة ليست حشو؛ لأن المقام مقام تهديد وإنذار، والتكرار يزيد المعنى رسوخاً في النفس ويضعف أثر الوعيد¹⁸.

4. الاعتراض:

وهو أن يؤتى بجملة بين متعلقات الكلام لغرض بلاغي.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾¹⁹ فالجملة الاعتراضية: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ تزيد المقام تفخيماً، وتوجه ذهن المتلقي إلى عظمة المقسم به والمقسم عليه²⁰.

5. التذييل:

وهو أن تأتي جملة في آخر الكلام تؤكد معناه السابق.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾²¹ فالجملة الأخيرة تؤكد مضمون الجملة الأولى وتبين سببه²².

6. التكميل والاحتباس:

¹⁵ القرآن ٧١: ٢٨-

¹⁶ انظر: أساليب بلاغية (الفصاحة، البلاغة، المعاني)، لأحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، ص 234

¹⁷ القرآن ٧١: ٣-٣

¹⁸ البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبدیع، لحسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناحي رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة - مصر، 2006م، ص 245

¹⁹ القرآن ٥٦: ٧٥ الى ٧٦-

²⁰ علم المعاني، لعبد العزيز عتيق، ص 194

²¹ القرآن ١٢: ٥٣،

²² انظر: تحرير التخبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، تحقيق: الدكتور حفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1383هـ،

وهو أن يأتي المتكلم بما يدفع احتمالاً قد ينشأ من الكلام السابق.

قال تعالى: ﴿أَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾²³

فقوله "مِنْ غَيْرِ سُوءٍ" احتراز من توهم أن البياض مرض أو عاهة²⁴.

7. الإيغال:

وهو ختم الكلام بزيادة تكمل المعنى وتزيده قوة، مع أن أصل المعنى قد تم قبلها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾²⁵

فقوله "بِغَيْرِ حِسَابٍ" يوسع دلالة الرزق ويجعلها أبعد من مجرد حصول العطاء إلى تصور سعته وعدم انحصاره²⁶.

8. التتميم:

هو إضافة لفظ أو تفصيل إلى الكلام لإكمال المعنى وتوضيحه، دون أن يسبب غموضاً أو لبساً، وقد يأتي للمبالغة أو التأكيد أو منع احتمال الخطأ.

ومن أغراضه: الإشارة إلى قصر المدة، والمبالغة، والاحتراز من احتمال الخطأ.

مثاله: قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾²⁷

فعبارة "وَهُوَ مُؤْمِنٌ" جاءت تتميماً للمعنى، لتوضيح أن العمل الصالح المقصود هو العمل المصحوب بالإيمان، مما يؤكد ارتباط قبول العمل بالإيمان²⁸.

9. التوشيع:

هو أن يأتي المتكلم بلفظ يدل على "مثنى"، ثم يفسره بذكر شيئين معطوف أحدهما على الآخر، وذلك لتوضيح المقصود من المثنى. وتُسمّى التوشيع بهذا الاسم لأنه يشبه "تفريع الشجرة"، حيث يتفرع الأصل إلى فرعين.

مثله: "خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق"، حيث فُسِّر المثنى "خصلتان" بـ "البخل وسوء الخلق"²⁹.

²³ القرآن ٢٨: ٣٢ -

²⁴ علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، لأحمد بن مصطفى المراغي، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،

1414هـ/1993م، ص 196

²⁵ القرآن ٢٤: ٣٨ -

²⁶ علم البديع، لعبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2002م، ص 113

²⁷ القرآن ١٦: ٩٧ -

²⁸ انظر: علم البديع، ص 117

²⁹ أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث: 1962، وفي سننه ضعف. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، 3/199

فالحلاصة: التوشيع هو تفسير المثنى بذكر شيئين متعاطفين بعده، لتوضيح معناه وتحديد المقصود منه³⁰.

النماذج التطبيقية للإطناب في تفسير الإمام الألوسي:

- الآية التي وردت فيها دلالة الإطناب:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۖ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾³¹

شرح الإطناب:

جاء الإطناب في التعبير بـ﴿النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ بعد ذكر بدء الخلق، لبيان أن إعادة الخلق في الآخرة إنشاءً جديد، ولتأكيد كمال قدرة الله تعالى على الإحياء بعد الموت.

سرّ الإطناب وأثره في تفسير روح المعاني:

تظهر بلاغة الإطناب في لفظ ﴿النَّشْأَةَ﴾؛ إذ يزيد المعنى وضوحاً وقوة، ويؤكد قدرة الله تعالى على إنشاء الخلق مرة أخرى. ويشير الألوسي إلى أن هذا التعبير يقوّي الدلالة على تجدد الخلق وإظهار القدرة الإلهية، فيكون أبلغ في تقرير البعث في النفوس³². الإطناب هنا جاء لفائدة بلاغية واضحة، وهي تقوية الدلالة على قدرة الله تعالى على إعادة الخلق، وربط بداية الخلق بالبعث والنشأة الآخرة.

- الآية التي وردت فيها دلالة الإطناب:

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۚ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾³³

شرح الإطناب:

جاءت عبارة ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ احتراساً؛ لتأكيد أن عبادة الله وتقواه هي الخير الحقيقي للإنسان، إذا أدرك ذلك بعلمه وفهمه. فزاد هذا التعبير المعنى وضوحاً، وقوّى تأثير الخطاب في المخاطبين.

سرّ الإطناب وأثره في تفسير روح المعاني:

تظهر بلاغة الإطناب في التنبيه إلى ضرورة العلم والإدراك لمعرفة الخير الحقيقي. ويشير الألوسي إلى أن هذه الزيادة تؤكد أهمية التفكير والوعي في إدراك ما ينفع الإنسان، وتزيد الكلام تأكيداً وتأثيراً³⁴. الإطناب هنا جاء لتأكيد قيمة العبادة والتقوى، وربط الانتفاع بمهما بوعي الإنسان وإدراكه لحقيقتيهما.

³⁰ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليجي بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبي، الملقب بالمؤيد بالله، ط1، المكتبة العنصرية - بيروت، ١٤٢٣هـ، 3/50

³¹ القرآن ٢٩: ٢٠ -

³² روح المعاني، 10/351

³³ القرآن ٢٩: ١٦ -

³⁴ روح المعاني، 10/348

• الآية التي وردت فيها دلالة الإطناب:

﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى ۖ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾³⁵

شرح الإطناب:

جاءت جملة ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ تأكيداً للمعنى السابق، إذ بيّنت أن إحياء الأرض بعد موتها دليل على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى. فزاد هذا التعبير المعنى قوة ووضوحاً، وربط المشاهد في الكون بحقيقة البعث.

سرّ الإطناب وأثره في تفسير روح المعاني:

يظهر أثر الإطناب في الانتقال من إحياء الأرض إلى إحياء الموتى، لتقريب أمر البعث إلى الأذهان بدليل محسوس. وبيّن الألوسي أن إحياء الأرض بعد موتها دليل ظاهر على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، ثم جاء قوله ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تأكيداً لعموم قدرته سبحانه وتعالى³⁶. الإطناب هنا يقوّي الاستدلال على البعث، وينقل المخاطب من مشاهدة إحياء الأرض إلى اليقين بقدرة الله على إحياء الموتى.

• الآية التي وردت فيها دلالة الإطناب:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾³⁷

شرح الإطناب:

جاء ذكر دابة الأرض وأكلها منسأة سليمان عليه السلام لتفصيل كيفية ظهور موته، وبيان أن الجن لم يعلموا بوفاته إلا بعد سقوطه. ثم جاء قوله ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ ليؤكد جهلهم بالغيب، ويظهر عجزهم عن معرفة ما خفي عنهم.

سرّ الإطناب وأثره في تفسير روح المعاني:

أبرز هذا التفصيل عجز الجن عن معرفة الغيب، رغم ما أوتوا من قوة، وبيّن أن علم الغيب مختص بالله تعالى. ويظهر في تفسير الألوسي أن هذه القصة جاءت لإظهار جهل الجن بالغيب، وأنهم لم يعلموا بموت سليمان عليه السلام إلا بعد ظهور علامته، وفي ذلك إبطال لدعوى علمهم بالغيب³⁸. الإطناب في هذه الآية أبرز عجز الجن عن علم الغيب، وأكد اختصاص الله تعالى بالعلم الكامل، فجاء التفصيل أكثر تأثيراً في تقرير هذه الحقيقة.

³⁵ القرآن ٣٠: ٥٠-

³⁶ روح المعاني، 11/53

³⁷ القرآن ٣٤: ١٤-

³⁸ روح المعاني، 11/282

الخلاصة:

أن الإطناب في القرآن الكريم وسيلة بلاغية مقصودة لتحقيق أغراض دلالية متعددة، وليس مجرد زيادة في الألفاظ. وقد أظهر الإمام الألوسي في «روح المعاني» قدرة متميزة على الكشف عن هذه الأغراض، ومن دراسة ذلك توصلت إلى النتائج الآتية:

1. تكشف دراسة "الإطناب في القرآن الكريم من خلال تفسير «روح المعاني»" عن العلاقة الوثيقة بين علوم البلاغة وعلوم التفسير، فالبلاغة تعد من الأدوات الأساسية لفهم خصائص النظم القرآني.
2. لا تأتي الزيادة في التعبير القرآني اعتباطاً، وإنما ترتبط بـ"السياق والمقام والغرض البلاغي"، وقد يكون الغرض منها: تقرير العقيدة، أو تأكيد الحكم، أو تصوير المعنى، أو تعظيم الشأن، أو التحذير، أو إزالة التوهم، أو استيفاء الصفات والمعاني.
3. يمثل تعريف ابن الأثير للإطناب: «زيادة اللفظ على المعنى لفائدة» أساساً مناسباً لفهم مفهوم الإطناب والتمييز بينه وبين التطويل والحشو.
4. تتعدد الوظائف البلاغية للإطناب القرآني، ومن أبرزها: التوكيد، والتقريب، والتفخيم، والتصوير، والتعليل، والتشويق، والتنبيه، ودفع التوهم.
5. يتميز منهج الإمام الألوسي في «روح المعاني» بالجمع بين "النحو واللغة والبلاغة والقراءات والسياق والتفسير بالمأثور"، مما يجعله منهجاً متكاملًا في تحليل النص القرآني.
6. يمتلك الألوسي قدرة واضحة على الربط بين الوظيفة البلاغية للإطناب، فلا يكتفي بإثبات وجود الزيادة، بل يبحث عن الغرض الذي أدته هذه الزيادة.
7. تظهر عناية الألوسي بالإطناب في تفسيره واهتمامه ببيان أثر هذه الظاهرة في توضيح الآية.
8. يتضح أن الإطناب القرآني لا يتعارض مع الإيجاز البلاغي؛ لأن البلاغة تقوم على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وليس على قلة الألفاظ أو كثرتها. فإذا اقتضى المقام زيادة اللفظ لتحقيق غرض معين، كانت الزيادة عين البلاغة، وإذا اقتضى المقام الاختصار كان الاختصار هو البلاغة.
9. تبرز دراسة الإطناب في «روح المعاني» عناية الإمام الألوسي الكبيرة بالجانب البلاغي للقرآن الكريم، مع ربطه بالعلوم اللغوية والتفسيرية المختلفة.
10. كما تكشف الدراسة أن فهم الإطناب في كثير من الآيات لا يتم بصورة كاملة إلا من خلال النظر في سياق السورة وما قبل الآية وما بعدها، ومعرفة المناسبة بين أجزاء الكلام.
11. تفتح دراسة الإطناب في «روح المعاني» مجالاً مهماً لدراسة العلاقة بين اللفظ والمعنى والسياق والتفسير، وتبرز قدرة المفسرين على الكشف عن دقائق النظم القرآني وأسراره البلاغية.

التوصيات:



يوصي البحث بما يأتي:

1. توسيع الدراسات التطبيقية في البلاغة القرآنية وربطها بالتفاسير التراثية الكبرى.
2. إعداد دراسات مستقلة تقارن بين معالجة الألوسي للإطناب ومعالجة مفسرين آخرين، مثل الزمخشري والرازي وأبي السعود وابن عاشور.
3. الاهتمام بالدراسات التي تجمع بين علم المعاني وعلم النحو في تفسير الألوسي، لما بينهما من تداخل واضح.
4. إجراء دراسات مقارنة بين الإطناب والتكرار في القرآن الكريم؛ للتمييز بين التكرار الذي يؤدي وظيفة بلاغية والتطويل الذي لا يضيف معنى.
5. الاستفادة من الدراسات البلاغية القرآنية في الرد العلمي على الشبهات التي تزعم وجود تكرار لغوي غير مفيد في القرآن الكريم.